مركز البحوث و الاستشارات الاجتماعية - لندن

العدد الثامن والثلاثون

كانون الأول / ديسمبر ٢٠٢٠ م

جمادى الآخرى ١٤٤٢هـ

مجلة بحوث

مجلّة علمية محكمة ربع سنوية

تصدر عن مركز لندن للبحوث والدراسات والاستشارات

الرئيس الفخري: سمو الأميرة منال آل سعود

ISSN 2313-1004

MAGAZINE BOUHOUTH

رئيس مجلس الإدارة

الشيخة ميسون القاسمي

المدير العام: أ.د. ناصر الفضلي

رئيس التحرير: أ.د. عبد الملك الدناني

مدير التحرير: د. محمد عبد العزيز

10 years

SCR

Adecade of Achevements

عقد من الإنجازات

www.ScrLondon.com

LONDON

+442033044839

Hot Line

+447766666016

+96594448018

conference@scrlondon.com

info@scrlondon.com

www.scrlondon.com

المجلة ضمن تصنيف

EBSCO HOST

1.665 Arab Impact Factor

@scrlondon2 @scrlondon SCR London

www.facebook.com/Greattrick

ضمير الفصل وأبعاده الدلالية

دراسة نحوية تحليلية

د. ابتهال محمد علي البار

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العـــدد الثامن والثـــلاثـــون

كانون الأول/ديسمبر ٢٠٢٠م - جمادى الآخرى ١٤٤٢هـ

- **كلمة العدد:** بقلم/ رئيس التحرير: د. عبد الملك الدناني - اليمن ٨
- **ملخصات أبحاث العدد** ١٠
- **تأصيل نظرية «المعروف» في الشريعة الإسلامية وتوثيق صلتها بنظرية «العرف» في الفقه الإسلامي**

  د. خالد حسين الخالد - الإمارات العربية ١٥
- **ضمير الفصل وأبعاده الدلالية - دراسة نحوية تحليلية**

  د. ابتهال محمد علي البار - السعودية ٣٣
- **رؤى مستقبلية طبية للتعامل مع جائحة كورونا وتحليل جيوطبي للمنحنى الوبائي لكوفيد ١٩**

  أ.د. حنان صبحي عبدالله عبيد - الأردن - أ.د. ناصر الفضلي - الكويت - د. محمد عبد العزير - مصر ٤٥
- **تحديات الصحافة الإلكترونية في ظل منافسة المواقع الاجتماعية (رؤية تحليلية)**

  أ. د. عبد الملك ردمان الدناني - اليمن - أ.م. الطاهر باشا - ٥٣
- **المعالجة الإعلامية لقضايا الإرهاب في المواقع التلفزيونية الإخبارية**

  أ.م. عبد الله عبد الرحيم محمد محمود معوض - أ.م. شريف عطية محمد بدران ٧٣

خلال عقد من التأسيس:

عشرة مؤتمرات علمية دولية و ٣٨ عدد من مجلة بحوث العلمية المحكمة

بقلم رئيس التحرير – أ.د. عبد الملك الدناني

يتزامن صدور العدد الجديد من مجلة بحوث مع احتفاء مركز لندن للبحوث والدراسات والاستشارات الاجتماعية بالذكرى العاشرة لتأسيسه في العاصمة البريطانية لندن عام ٢٠١٠، وخلال عقد من الزمن نظم المركز عشرة مؤتمرات علمية دولية في العديد من العواصم العربية والأجنبية، منها مؤتمرين افتراضيين عن بعد من خلال منصة Zoom الإلكترونية بسبب جائحة كورونا، وركزت مؤتمرات المركز العشرة الأضواء على قضايا علمية في مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية، وشارك فيها أكثر من ٨٠٠ باحثاً من جامعات ومراكز بحثية ينتمون إلى جامعات ومراكز عربية وأجنبية.

ومنذ اعتماد مجلة بحوث كمجلة علمية محكمة للمركز عام ٢٠١٤، صدر منها ٣٨ عدد بشكل دوري منتظم، وحققت المجلة نجاحات متميزة في الحصول على معامل التأثير العربي، وحققت شهرة علمية واسعة بين أوساط الباحثين وأساتذة الجامعات العربية، حيث تضم هيئتها الاستشارية أكثر من ٤٠ أستاذاً جامعياً ينتمون لجامعات عريقة في الوطن العربي، وتسعى المجلة للدخول إلى معيار سكوباس Scopus العالمي.

ويحتوي هذا العدد على خمس دراسات علمية تناولت قضايا إنسانية واجتماعية ولغوية وإعلامية متنوعة، لباحثين من جامعات إماراتية، وسعودية، وأردنية، وسودانية، ومصرية، تخدم المجالات الإنسانية والاجتماعية.

حيث هدفت **الدراسة الأولى** إلى البحث عن أهداف رئيسة وأهداف تابعة، تكمنا أهدافه الرئيسة في استنباط نظرية شرعية متكاملة لاستعمالات مصطلح "المعروف"، من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وتوثيق الصلة بين نظرية المعروف ونظرية العرف اتفاقاً واختلافاً. وما عدا هذين الهدفين، من الإجابة عن التساؤلات الواردة في الفقرة السابقة، هو هدف تابع لأحدهما أو مكمّل للبحث من دونهما. وخصصت **الدراسة الثانية** للوقوف على ضمير الفصل وأبعاده الدلالية، من خلال تحليل التراكيب التي ورد فيها، وذلك بالاستفادة من نظرية النحو التوليدي التحويلي، ووظَّف البحث المنهج الوصفي التحليلي للإجابة عن سؤال رئيس يركز على الوظيفة التركيبية والدلالية لضمير الفصل. **وهدفت الدراسة الثالثة** إلى تحديد رؤى علمية مستقبلية طبية للتعامل مع جائحة كورونا، وتحليل جيوطبي للمنحنى الوبائي لكوفيد ١٩، وإن مرض كورونا Disease Corona، الذي ظهر لأول مرة في مدينة ووهان الصينية أواخر عام ٢٠٠٢، حيث اعتقد أن الفيروس انتقل في البداية من الحيوانات إلى البشر وسرعان ما تجاوز الحدود الجغرافية لينتشر في دول العالم. **وركزت الدراسة الرابعة** على التحديات التي تواجه الصحافة الإلكترونية، ومدى مواكبتها للتطورات التقنية وإمكانية تجاوزها، من خلال التطور التقني الحاصل في مواقع التواصل الاجتماعي، بحكم أنها وسيط اتصالي حديث ومتطور، يمكن استغلال إمكانياتها وخدماتها المتعددة لتقديم المعلومات الحديثة والمفيدة والترويج لها.

والدراسة الخامسة جاءت بعنوان "**المعالجة الإعلامية لقضايا الإرهاب في المواقع التلفزيونية الإخبارية (دراسة تحليلية)**" وتَندرج هذه الدراسة في مجملها ضمن الدراسات الوصفية التشخيصية التي تَهدف إلى وصف الخطابات الإعلامية المتعلقة بقضية الإرهاب في المواقع التلفزيونية الإخبارية، لذا فإن الدراسة تعتمد على منهج المسح لتكوين قاعدة أساسية من المعلومات المطلوبة للإلمام الكامل بجوانب الدراسة، من خلال رصد التقاطع الثقافي وآليات مواجهة الإرهاب في المواقع التلفزيونية الإخبارية ومن ثم تحليلها باستخدام أداة تحليل الخطاب النقدي المتصل بكل من القارئ.

وتحرص هيئة تحرير المجلة على إتاحة المجال للكفاءات المعروفة لنشر نتاجها البحثي في المجلة، من خلال الدراسات العلمية القيمة والرصينة التي تسهم بتطوير المجال البحثي في المجالات الاجتماعية والإنسانية، ونشر المعرفة العلمية بين أوساط الباحثين في الجامعات العربية. ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسدد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مجلة بحوث، العدد الثامن والثلاثون كانون الأول/ديسمبر ٢٠٢٠م - جمادى الأولى ١٤٤٢هـ

ضمير الفصل وأبعاده الدلالية - دراسة نحوية تحليلية

Pronoun of Separation (Fasl Pronoun) and its Semantic Properties

An Analytical Syntactic Study

د. ابتهال محمد علي البار - السعودية
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة الملك عبدالعزيز

Abstract

This study investigates the pronoun of separation and its semantic properties by analysing its structures according to the Transformational-generative Grammar theory. The descriptive analytical method is employed to answer one primary question:

- What are the structural and semantic functions of the pronoun of separation?

Other secondary questions are also answered in this study including:

- Is the pronoun of separation an NP or something else?
- Does it have a specific grammatical function?

The study has reviewed disagreements among Traditional Arab Grammarians over these questions. The opinion favoured in this study is that pronoun of separation is an NP in all cases. However, the study concludes that there are two cases for the pronoun of separation use. First, it is an NP functioning as a subject, which is the dialect of the tribe of Tamīm who use the pronoun of separation at the beginning of the sentence; a feature that conforms to some modes of recitation. Second, it is an element that is used to separate the subject and the predicate and has no grammatical function. In the second case, it serves as a linking device in nominal sentences where the pronoun of separation determines whether the word following it is a predicate or an attributive adjective. It also serves other structural and semantic functions such as emphasis, particularity, exclusion, and can be used by way of exaggeration, mockery and ridicule.

الملخص

تهدف هذ الدراسة إلى الوقوف على ضمير الفصل وأبعاده الدلالية، عبر تحليل التراكيب التي ورد فيها بالاستفادة من نظرية النحو التوليدي التحويلي، ووظَّف البحث المنهج الوصفي التحليلي للإجابة عن سؤال رئيس، هو:

- ماهي الوظيفة التركيبية والدلالية لضمير الفصل؟

وتفرّع عنه مجموعة من الأسئلة، نحو:

- هل ضمير الفصل اسم أم حرف؟
- هل له محل من الإعراب أم ليس له محل؟

وعرض البحث خلافات النحاة حول هذه الأسئلة، ورجّح الرأي القائل بأنه باق على اسميته في كل الأحوال، وأنّ هناك حالتين لاستعماله، الأولى: أن يكون اسما له محلّ من الإعراب، وهو الابتداء وبعده خبر، وهي لغة تميم الذين يستعملون ضمير الفصل على الابتداء في كل الأحوال، وبذلك جاءت بعض القراءات القرآنية، والحالة الثانية: أن يكون فصلا بين المبتدأ والخبر لا محل له من الإعراب. وخلص البحث إلى أنَّ ضمير الفصل يُعدّ وسيلة من وسائل الربط في الجملة الاسمية؛ إذ يقوم بوظيفة أمن اللبس بين الخبر والنعت، كما يؤدي وظائف تركيبية ودلالية، أبرزها: التوكيد، والاختصاص، والقصر على سبيل المبالغة، والتهكم والسخرية.

الكلمات المفتاحية: ضمير الفصل، دراسة نحوية، تحليل التراكيب.

مقدمة

يرفض بعض الباحثين دراسة التراث اللغوي بمنظور المناهج اللسانية الحديثة؛ ويؤكدون أن بعض الدراسات التي حاولت الوصل بين التراث النحوي العربي وبين النظريات اللسانية الحديثة، تجمع بعض الشذرات من نصوص سيبويه أو عبد القاهر الجرجاني ثم يدَّعون أنهم يحاولون ربط التراث باللسانيات [(١)]، ويرى باحثون آخرون أنه ليس هناك ضرورة منهجية تدعو إلى توظيف التراث اللغويّ العربيّ القديم في بناء نحو يصف اللغة العربية [(٢)]. لكن هذه الدراسة تؤكد على أهمية ربط التراث النحوي العربي بالمناهج اللسانية الحدِّيثة، لا لرفع شأن تراثنا بعد مقارنته بما عند الدراسات الغربية، بل لوضع التراث في إطار مناسب للعصر؛ يُبرز قيمته الحقيقية التي قد لا يدركها بعض الباحثين، ولهذا السبب جاءت هذه الدراسة التي نسلّط الضوء فيها على وسيلة من وسائل الربط في التراكيب اللغوية، وهي: «ضمير الفصل»، مع التركيز على دوره في أداء المعنى، وتحليل التراكيب التي ورد فيها لإبراز وظيفته التركيبية، والدلالية بالاستفادة من نظرية النحو التوليدي التحويلي، والنظر إلى التراكيب التي اشتملت على ضمير الفصل باعتبارها تراكيب مُحوَّلة طرأت عليها قاعدة تحويلية هي الزيادة.

وقد اقتضى موضوع البحث أن يُوظّف المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على الاستقراء والتحليل والاستنتاج لتحقيق أهدافه، وتم تقسم الدراسة إلى عناصر، هي:

- مفهوم ضمير الفصل عند النحاة وشروطه.
- الخلاف في اسميته وحرفيّته.
- الخلاف في محله من الإعراب.
- وظيفة ضمير الفصل التركيبية والدلالية.

وخُتم البحث بالنتائج والتوصيات.

---

(١) انظر: السامرائي إبراهيم، **النحو العربي في مواجهة العصر** (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٥م)، ص٦٢.

(٢) انظر: الفهري، عبد القادر الفاسي، **اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية** (المغرب: دار توبقال للنشر، ٢٠٠٠م)، ص٦٠.

تمهيد

اهتمت النظريات اللسانية الحديثة بدور الربط في التراكيب المختلفة، بهدف إحكام التحليلات اللغوية، ويمثّل الربط على مستوى البنية السطحية نظرية من نظريات النحو التوليدي التحويلي باعتباره من الإضافات والتعديلات الدقيقة والمهمة على مستوى التنظير والتحليل لكثير من التراكيب اللغوية، وقد ظهرت الملامح الأولى لنظرية الربط حين اقترح تشومسكي Chomsky ما عُرف بنظرية الربط "Binding Theory" عام ١٩٧٨م، ثم توالت الدراسات التي جمعت بين العامل والربط، Government Binding Theory.[٣] وتنطلق نظرية الربط من ملاحظة واقعية تتعلق باشتغال بعض العناصر اللغوية، ففي كل اللغات توجد فئة من الوحدات التي لا يمكن تأويلها دون ربطها بعناصر لغوية أخرى. وتهدف نظرية الربط بأسسها العامة إلى تحديد نوعية العلاقة بين العناصر المُضمرة وسوابقها، ومجال مراقبتها، وحدود إسناد الإحالة المناسبة.[٤]

ومن وسائل الربط المهمة في الجملة الاسمية الضمير، ونخصّ بالذكر في هذا البحث ضمير الفصل على وجه التحديد؛ إذ يقوم ضمير الفصل بوظيفة أمن اللبس بين حالة الخبرية والوصفية في مثل قولنا: «زيدٌ الكريمُ»، فحين نقول: «زيد هو الكريم» يتمّ حصر التركيب في حالة الإسناد الخبرية، وتنتفي الوصفية، إذ يقوم ضمير الفصل بالربط بين ركني الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) حتى لا يتحوّل التركيب إلى تركيب غير مستقل يفيد مجرد الوصفية، ويفتقر إلى ركن الإسناد الذي يتمّمه، والإسناد في جملة «زيد الكريم» عنصر فارغ، وهذا المركب الاسمي يشتمل فقط على الوصف، ويحتاج إلى عنصر إسنادي يتمّم الكلام، مثل أن نقول: «زيد الكريم حاضر»، أما حين نقول: «زيد هو الكريم» فإننا نجد ضمير الفصل يقوم بوظيفة الربط بين ركني الجملة، وبذلك تم حصر العلاقة في الإسناد الخبري، دون التباس بالوصف الذي قد يتبادر إلى الذهن.[٥] ويمكن تمثيل ذلك بالرسم الآتي:

مسند إليه + مسند ⟵ زيادة

مسند إليه + **ضمير الفصل** + مسند.

من هنا تأتي زيادة ضمير الفصل في تركيب الجملة الاسمية الذي يمكن التعامل معه بوصفه: نوعا من أنوع القواعد التحويلية يتم فيه إضافة عنصر لغوي إلى التركيب، ويمكن تمثيل هذا القانون بالرسم الآتي:

أ + ب ⟵ أ + ب + ج[٦].

وقد تناول نحاة العربية ظاهرة الزيادة في الجملة، وأشاروا إلى ذلك في حديثهم عن حروف الجر الزائدة، وعن زيادة «كان - إن – أن - مهما»[٧] وزيادة ضمير الفصل[٨]، وفي المقابل نجدهم أشاروا إلى مفهوم الربط إشارات متناثرة في مؤلفاتهم المختلفة بين طيّات الأبواب النحوية مما يوحي بعدم تعاملهم معه باعتباره ظاهرة تركيبية تعمل على تماسك عناصر التراكيب والجمل العربية. فلم

---

(٣) انظر: البهنساوي، حسام، **أنظمة الربط في العربية**، دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق)، ٢٠٠٣م، ص٧.

(٤) انظر: غلفان، مصطفى، **اللسانيات التوليدية ٢**، تطور النماذج التوليدية، (عمان: كنوز المعرفة)، ٢٠١٦م، ص٢٧٣٤، ٢٧٤.

(٥) انظر: البهنساوي، حسام، **أنظمة الربط في العربية**، مرجع سابق، ١٩.

(٦) انظر: الخولي، محمد، **معجم علم اللغة النظري**، (بيروت: مكتبة لبنان)، ١٩٩١م، ص٥.

(٧) انظر: الراجحي: عبده، النحو العربي والدرس الحديث، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية)، ١٩٨٨م، ص١٥٢، و١٥٣.

(٨) ابن يعيش، موفق الدين، **شرح المفصل**، (بيروت: عالم الكتب) (د.ت)، ج٣، ص١٠٩، ١١٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يكن لهم رؤية شاملة ومنهجية واضحة حول فاعلية الربط.[٩] ولا يعيبهم ذلك، فالملابسات العلمية والثقافية والحضارية التي قام عليها النحو العربي تختلف عن اللسانية الحديثة.

ويعدّ ابن السراج من أوائل العلماء الذين أشاروا إلى أهمية الربط بالحروف، فقد قسم الحروف إلى قسم يربط الاسم بالاسم، نحو: حضر زيد وعمرو» فالواو ربطت بين المعطوف والمعطوف عليه، ونوع يربط الفعل بالفعل، نحو: «قام وجلس»، وقسم يربط الاسم بالفعل، وهو ما يعرف بالتعدية بواسطة حروف الجر، مثل: مضيت إلى زيد، ومررتُ بمحمد. وقد تكون وظيفة الحرف ربط جملة بجملة، مثل: «إن يحضرْ زيد يخرجْ عمرو»، وأصل الكلام «يحضرُ زيد يخرجُ عمرو» فـ يحضر زيد ليس مرتبطا بـ «يخرج عمرو» فلما دخلت «إن» الشرطية جعلت إحدى الجملتين شرطا والأخرى جوابا.[١٠] ومن هذه الإشارات ما أورده ابن هشام بعنوان «روابط الجملة بما هي خبر عنه» وذكر على رأسها: الضمير وهو الأصل ولهذا يربط به مذكورا مثل: زيد أكرمته، ومحذوفا مرفوعا مثل: قوله تعالى ﴿**إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ**﴾ (**طه: ٦٣**) إذا قُدّر (لهما ساحران) ومنصوبا مثل قوله تعالى ﴿**وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**﴾ (**الحديد: ١٠**) على قراءة ابن عامر بالرفع (وكلٌ)، على أنه مبتدأ وما بعده خبر،[١١] وأصل الكلام «وعده الله الحسنى»، فحُذف المفعول الأول. وحذفُ الضمير المنصوب من الجملة الواقعة صفة أكثر من حذفه إذا كانت الجملة خبرا، لذا عدّ بعض النحاة حذف الضمير من الفعل «وعد» من الضرورة، ولكنه ورد في قراءة سبعية متواترة فوجب قبوله.[١٢]

وقد ذكر ابن هشام ثلاث حالات يكون فيها الضمير لفظياً فحسب ولا يحقق وظيفة الربط، نحو:

- أن يكون معطوفا بغير الواو، «زيد قام عمرو فهو»
- وأن يعاد العامل «زيد حضر عمرو وحضر هو»
- أن يكون بدلاً مثل «حسن الجارية أعجبتني هو» فهو بدل اشتمال من الضمير المستتر العائد على الجارية. وهو في التقدير كأنه من جملة أخرى.[١٣]

تعريف ضمير الفصل وشروطه

ضمير الفصل هو ضمير من ضمائر الرفع المنفصلة، يتوسّط بين المبتدأ وخبره ليفيد بأن ما بعده خبر لا نعت، وليفيد نوعا من التوكيد، ويسميه البصريون فصلا، والكوفيون يسمونه عمادا.[١٤] وذكر السيوطي أنه ضمير يكون بصيغة ضمير الرفع مطابقا لما قبله تكلما وخطابا وغيبة، إفرادا وغيره، ويقع بعد مبتدأ أو ما أصله المبتدأ وقبل الخبر، نحو قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**﴾ (**الصافات: ١٦٥**)، وقوله تعالى: ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (**البقرة: ٥**).[١٥] وقد وضح النحاة الشروط التي يجب أن تتوفر في ضمائر الرفع المنفصلة لتكون ضمير فصل أو عماد، وهي:

- أن يكون من الضمائر المنفصلة المرفوعة الموضع، فيمتنع « زيد إياه الفاضل»، و«إنك إياك الكريم»، ويعلّل النحاة هذا الشرط بأنه نوع من التوكيد،

(٩) انظر: البهنساوي، حسام، **أنظمة الربط في العربية**، مرجع سابق، ص٧.

(١٠) انظر: ابن السراج، محمد، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، (بيروت: مؤسسة الرسالة) ١٩٩٩ ج١، ص٤٢، ٤٣.

(١١) انظر: الداني، أبو عمرو، **التيسير في القراءات السبع**، تحقيق: أوتو يرتزل، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٢٠١٧م، ص١٦٩، وابن هشام، أبو محمد عبد الله، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية) ١٩٩١م. ج٢/ ص٥٧٣،

(١٢) انظر: الأندلسي، أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١٩٩٣م، ج٨، ص٢١٨، ٢١٩.

(١٣) انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، مرجع سابق، ج٢/ ص ٥٧٤.

(١٤) انظر: ابن يعيش، موفق الدين، **شرح المفصل**، (بيروت: عالم الكتب) (د.ت)، ج٣، ص١٠٩، ١١٠.

(١٥) انظر: السيوطي، عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ٢٠٠٣م، ص٤٥١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والتأكيد يكون بضمير الرفع المنفصل، مثل: جلستُ أنا، اسكن أنت، ولهذا يُسمَّى التأكيد المحض،

- أن يقع بين المبتدأ والخبر أو ما هو طارئ على المبتدأ والخبر من الأفعال والحروف، مثل: «إنّ وأخواتها»، و«ظن وأخواتها» و«كان وأخواتها» مثل قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**﴾ (**الصافات**: ١٦٥) وقوله: ﴿**تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ (**المزمل**: ٢٠).
- أن يكون بين معرفتين. أو معرفة وما قاربها من النكرات؛ لأن فيه نوعا من التأكيد ولفظه لفظ المعرفة.[١٦]

وقد جوّز بعض النحاة وقوعه بين الحال وصاحبها، وهو قليل، وخُرّج عليه قراءة سعيد بن جبير وعيسى بن عمر ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**﴾ (**هود**: ٧٨) بنصب «أطهرَ»،» هؤلاء بناتي» مبتدأ وخبر، و«هنّ» ضمير فصل.[١٧] وجوّز العكبري وقوعه قبل فعل مضارع لمشابهته الاسم ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾ (**فاطر**: ١٠)، (ومكر أولئك) مبتدأ وخبره (يبور) وجعل الضمير «هو» ضمير فصل أو توكيد، أو أن يكون مبتدأ وخبره «يبور»، والجملة خبر «مكر».[١٨]

تردده بين الاسمية والحرفية

اختلف النحاة في ضمير الفصل هل هو اسم أم حرف وذلك بالنظر إلى وظيفته التركيبية فيرى الكوفيون أنه اسم يُفصل به بين النعت والخبر ويسمى عمادا، وله محل من الإعراب، وحكمه حكم ما قبله «ظننت زيدا هو الفاضل» محله النصب، لأنه توكيد لما قبله، وكما نقول «جاءني زيد عينُه» كان «عينه» تابعا لما قبله في الإعراب، فإن العماد في قولنا» زيد هو الكريم» يجب أن يكون تابعا لما قبله في الإعراب.

أما البصريون وأكثر النحاة فيرون أنه حرف لا محل له من الإعراب لأنه دخل للفصل بين الخبر والنعت، ومن هنا جاءت تسميته فصلا، مثل دخول «الكاف للخطاب» في اسم الاشارة «ذلك، وتلك» وتُثنّى وتُجمع، وفي كل تلك الأحوال لا محل لها من الإعراب، فكذلك ضمير الفصل.[١٩] ويعللون ذلك بأن الغرض منه الإعلام بأنَّ ما بعده خبر لا صفة، فاشتد شبهه بالحرف؛ إذ لم يُستعمل إلا لمعنى في غيره.[٢٠]

ويرى ابن يعيش أنه قد يُستعمل مبتدأ وما بعده مرفوع، نحو «ما ظننت أحدا هو شرٌ منك»، فجملة «هو شرٌ» مبتدأ وخبرٌ في محل نصب المفعول الثاني لـ «ظنّ»، وكذلك في قولك: كنت أنا الراكبُ، والفرق بين الضمير وهو مبتدأ وبين كونه فصلا؛ أن المبتدأ يُغيّر إعراب الذي بعده، فيرفعه على أنه خبر، أما إذا استُعمل فصلا فلا يغيّر إعراب الذي بعده، بل يبقى كما هو على حاله، نحو: ظننتُ زيدا هو القائمَ، وإذا وقع فصلا فقد سُلب معنى الاسمية وتحوّل إلى حيّز الحروف وأُلغي كما تُلغى الحروف، مثل إلغاء عمل «ما» في قوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ**﴾ (**آل عمران**: ١٥٩) فضمير الفصل لا محل من الإعراب لا رفع ولا نصب ولا جر، ونظيره من الأسماء التي لا محل لها من الإعراب الكاف في «رويدك وأولئك». والدليل على كونه لا محل له من الإعراب أنه لو كان له محل من الإعراب كان كالتوكيد أو كالبدل؛

---

(١٦) انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله، **مغني اللبيب**، مرجع سابق، ج٢، ص٥٦٨، ٥٦٩، وابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، مرجع سابق، ج٣، ص١١٠.

(١٧) انظر: الأندلسي، أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، مرجع سابق، ج٥، ص٢٤٧.

(١٨) انظر: العكبري، أبو البقاء، **إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية) ١٩٧٩م، ج٢، ص١٩٩.

(١٩) انظر: الأنباري، أبو البركات، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية) ١٩٩٨م، ج٢، ص٧٠٦، ٧٠٧.

(٢٠) انظر: السيوطي، عبد الرحمن، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، (القاهرة: عالم الكتب)، ٢٠٠١م، ج١، ص٢٣٦.

لكن لام التأكيد تدخل على ضمير الفصل فتَحُول بينه وبين الاسم، مثل: «وإن كنا لنحن الصالحين»، أو «إن كان زيد لهو الفاضل»، وهذا لا يكون في النعت ولا في التوكيد؛ لأنه لا يجوز الفصل بين البدل والمبدل منه ولا بين التأكيد والمؤكد؛ فظاهر هذا أن ضمير الفصل لا محل له من الإعراب.[٢١]

الخلاف في محله من الإعراب

كما اختلف النحاة في ضمير الفصل هل هو اسم أم حرف، اختلفوا في محله من الإعراب مع اتفاق بعضهم على اسميته، ويرى جمهور البصريين أنه حرف؛ فقد ذكر السيوطي أن أكثر النحاة يرون أنه حرف مثل الكاف في اسم الإشارة، ولكن إذا قلنا باسميّته فالصحيح أنه لا محلّ له من الإعراب، وعليه الخليل، لأن الغرض منه الإعلام بأن الخبر خبر لا نعت.[٢٢]

ويرى سيبويه أنه باق على اسميته، لكنه يقع مبتدأ فقط في حالة عدم وقوعه فصلا بين النعت والخبر، وذكر ذلك بقوله «هذا بابٌ لا تكون هو وأخواتها فيه فصلا»، فتكون مبتدأ وما بعدها خبرا، وذلك نحو: ما أظن أحدا هو شرٌ منك».[٢٣] وفي موضع آخر ذكر أنها لا محل لها من الإعراب بقوله: «هذا باب ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهنّ فصلا»، فضمير الفصل قد يُستعمل ليستدلّ السامع أنّ ما بعده ليس منه، ولا يتغيّر ما بعده عن حاله التي كان عليها قبل دخول ضمير الفصل، نحو قوله تعالى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ**﴾ (سبأ: ٦).[٢٤]

(٢١) انظر: ابن يعيش، موفق الدين، **شرح المفصل**، مرجع سابق، ج٣، ص١١٣.

(٢٢) انظر: السيوطي، عبد الرحمن، **همع الهوامع**، مرجع سابق، ج١، ص٢٣٦.

(٢٣) انظر: عمرو بن قنبر، سيبويه، **الكتاب**، تحقيق، عبد السلام هارون، (بيروت: دار الكتب العلمية) ١٩٨٨م ج٢، ص٣٩٥.

(٢٤) انظر المرجع السابق، ج٢، ص٣٩٠،٣٨٩.

وبذلك نستنتج أن سيبويه فرَّق بين استعمال ضمير الفصل في حالتين، الأولى: أن يكون اسما له محلّ من الإعراب وهو الابتداء وبعده خبر،وسيبويه بذلك يوافق لغة تميم الذين يستعملون ضمير الفصل على الابتداء في كل الأحوال، وبذلك جاءت بعض القراءات القرآنية، نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**﴾ (الزخرف: ٧٦) قرأ الجمهور «الظالمين» باعتبار الضمير «هم» ضمير فصل، وقرئ «الظالمون» على أنه خبر، و«هم» مبتدأ، وكذلك قوله تعالى: ﴿**تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ (المزمل: ٢٠) قرئت برفع «خير» و«أعظم»[٢٥] وقوله تعالى: ﴿**إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا**﴾ (**الكهف: ٣٩**) قُرئت برفع «أقل»، على أنها خبر.[٢٦]

والحالة الثانية: أن يكون ضمير الفصل لا محل له من الإعراب؛ بشرط أن يفصل بين المبتدأ والخبر. واستدلّ على ذلك بأنك إذا أخرجت «هو» من قولنا: «كان زيد هو شرا منك» لم يفسد المعنى. وقد أكّد سيبويه رأيه عمليا حين أعرب الحديث النبويّ الشريف: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه وينصّرانه» فقال بأن فيه ثلاثة أوجه إعرابية، للرفع وجهان، ووجْه للنصب. الأول: أن يكون «الأبوان» مبتدأ وما بعده خبر واسم يكون مضمرا، كأنه قال: حتى يكون المولود أبواه اللذان، والوجه الثاني: أن يكون «أبواه» اسم يكون، والضمير «هما» مبتدأ وما بعده خبر له. أما وجه النصب على أن يكون «هما» ضمير فصل لا محل له من الإعراب، ولا يؤثر في الحكم الإعرابي لما بعده.[٢٧]

(٢٥) انظر: الأندلسي، أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، مرجع سابق ج ٨، ص٢٧، والسيوطي، عبد الرحمن، همع الهوامع، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٨، ٢٢٩.

(٢٦) انظر: الخطيب، عبد اللطيف، **معجم القراءات**، (دمشق، دار سعد الدين)، ٢٠٠٢م، ج٥، ص٢١٧.

(٢٧) انظر: سيبويه، عمرو بن قنبر، **الكتاب**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٩٣-٣٩٥.

ويرى ابن مالك أن كلام سيبويه مشعرٌ أن ضمير الفصل لا محل له من الإعراب بدليل عدم تغيّره مهما تغيّر ما قبله، مثل: «زيد هو الكريمُ»، و«علمت زيدا هو الكريمَ»، فلو كان له محل من الإعراب لقلنا: «علمتُ زيدا إياه الكريمَ»، كما تقول ما أكرمني إلا أنت وما أكرمت إلا إياي.[٢٨]

وبعض العرب يجعلونه مبتدأ وما بعده خبر، في كل الأحوال؛ فلا يُنصب ما بعده في باب «كان» وأخواتها، وباب «علمت»، «وما «الحجازية العاملة عمل «ليس»،[٢٩] وذكر سيبويه أن رؤبة يقول: «أظن زيدا هو خيرٌ منك»[٣٠]، وتميم يجعلون ضمير الفصل مبتدأ ويرفعون ما بعده على الخبر مطلقا، وبذلك جاءت بعض القراءات القرآنية في غير السبعة، كقوله تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ**﴾ (الزخرف: ٧٦) قرأ الجمهور «الظالمين» باعتبار الضمير «هم» ضمير فصل، وقرئ «الظالمون» على أنه خبر، و«هم» مبتدأ، وكذلك قوله تعالى: ﴿تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا﴾ (المزمل: ٢٠) قرئت برفع «خير» و«أعظم» .[٣١] وقد جاءت هذه القراءات على لغة تميم الذين يجعلون ضمير الفصل مبتدأ وما بعده خبرا مطلقا .وقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ (الحديد: ٢٤) قرأ نافع وابن عامر من السبعة بإسقاط الضمير «هو» والقراءتان متواترتان، وقرأ الباقون بإثبات الضمير، فمن أسقط جعل «الغنيّ» خبر «إنّ»، و«الحميد» صفة، وأما قراءة الجمهور بإثبات الضمير، فيجوز أن يكون ضمير فصل وما بعده خبر، ويجوز أن يكون الضمير مبتدأ خبره «الغنيّ» وتكون الجملة الاسمية في محل رفع خبر «إنّ»، ومثله قوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر**﴾ (الكوثر:٣)،[٣٢] وقال بعضهم يحسن أن يكون الضمير فصلا، ولا يصحُّ أن يكون مبتدأ؛ لأنّ حذف المبتدأ غير سائغ، وإذا قلت «إنَّ زيدا هو الكريم» فأعربتَ «هو «مبتدأ لم يجز حذفه؛ لأنّ ما بعده «الكريم» يصلح أن يكون خبرا لـ «أنّ» فلا يبقى دليل على حذف «هو» الرابط بين الجملة الواقعة خبرا والمبتدأ الأول، ومثله قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ**﴾ (**الماعون:٦**) قال بعضهم لا يجوز حذف «هم» لأن ما بعده يصلح أن يكون صلة الموصول فلا يبقى دليل على المحذوف، وقد اعترض أبو حيان على هذا الرأي لأنه بُني على تركيب بعض القراءات على الأخرى، وليس الأمر كذلك، فقد تكون قراءتان على لفظ واحد ولكل منهما توجيه نحوي يخالف الآخر[٣٣] مثل قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى**﴾ (آل عمران: ٣٦) قرأ ابن عامر وشعبة ويعقوب بسكون العين، وضم التاء وقرأ باقي السبعة بفتح العين وسكون تاء التأنيث، فالقراءة الأولى على أن الجملة من كلام امرأة عمران، وكأنها خاطبت نفسها بقولها (والله أعلم) والثانية تقتضي أنها من كلام الله تعالى على سبيل الإخبار بأنه أعلم بالذي وضعته وما يؤول إليه أمر هذه الأنثى، وهذا كثير في القراءات المتواترة، فيجوز أن يكون (هو) في سورة الحديد في هذا الموضع مبتدأ وإن كان الضمير محذوفا في القراءة الأخرى، ولكلٍ من التركيبين إعراب يخصّه.[٣٤]

(٢٨) انظر: ابن مالك، **شرح التسهيل**، تحقيق: محمد عطا، وطارق السيد، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج١، ص١٦٥.

(٢٩) انظر: الرضي، **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب**، تحقيق: يحيى بشير المصري، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٩٩٦م) ج١، ص١٧٧، ١٧٨.

(٣٠) سيبويه، عمرو بن قنبر، **الكتاب**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٩٢.

(٣١) انظر: الأندلسي، أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، مرجع سابق، ج ٨، ص٢٧، والسيوطي، عبد الرحمن، **همع الهوامع**، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٨، ٢٢٩.

(٣٢) انظر: أبو زرعة، عبد الرحمن، **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ١٩٩٧م، ص٧٠٢

(٣٣) انظر: الأندلسي، أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، مرجع سابق، ج٨، ص٢٢٤، ٢٢٥.

(٣٤) انظر: المرجع السابق، ج٢، ص٤٥٧.

وظيفته التركيبية والدلالية

ضمير الفصل له الكثير من الدلالات والمعاني من ذلك: الفصل بين الخبر والنعت، والتأكيد، والحصر والتخصيص، والقصر على المبالغة، والتهكم والسخرية. ونورد تفصيل ذلك فيما يأتي:

أولا: الفصل به بين الخبر والصفة

الوظيفة الرئيسة لضمير الفصل هي الفصل بين الخبر والصفة، ومن هنا سُمّي فصلا، فقولنا: (محمد الصائم) تحتمل ان يظنّ السامعُ كلمة (الصائم) صفة فينتظر الخبر، فيُؤتى بضمير الفصل ليتعيّن كون ما بعده خبرا لا صفة. ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (الحج:١٢)، ويسميه الكوفيون عمادا؛ لأنه حافظٌ لما بعده حتى لا يسقط عن الخبرية، كالعماد في البيت يحفظ السقف من السقوط، والغرض من الفصل في الأصل فصل الصفة عن الخبر.[٣٥]

ذلك الضلال البعيد ← زيادة

ذلك هو الضلال البعيد.

ويرى ابن هشام أن الأَوْلى أن يُقال عن ضمير الفصل يُفصل به بين كون ما بعده تابعا أو خبرا، ولا يُقتصر على الصفة؛ لأنّ ذلك أعمّ، واستشهد بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾(المائدة:١١٧)، فـ «الرقيب» لا تحتمل أن تكون صفة للضمير المتصل؛ لأن الضمائر لا تُوصف.[٣٦]

ثانيا: التوكيد

من أغراض ضمير الفصل التي ذكرها النحاة التوكيد، ولذلك لا يجتمع ضمير الفصل مع التوكيد، فلا يُقال: (زيد نفسه هو الكريم)، ومن هنا سمّاه بعض نحاة الكوفة عمادا؛ لأنه يُدعم به الكلام أي يقوى ويُؤكّد.[٣٧]

ونوّه الجرجاني إلى وظيفته التوكيدية بقوله «ثم إنهم إذا أرادوا تأكيد هذا الوجوب أدخلوا الضمير المسمى فصلا بين الجزأين فقالوا: زيد هو المنطلق»[٣٨]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢) فجاءت الآية الثانية بضمير الفصل بخلاف الأولى؛ ذلك أنه لما أخبر بأن رضوان الله أكبر من ملذات الجنة ونعيمها ناسب عظم ذلك المجيء بضمير الفصل في هذا المقام لزيادة تقوية الكلام وتوكيده.[٣٩]

ذلك الفوز العظيم ← زيادة

ذلك هو الفوز العظيم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠) جاء بضمير الفصل مع الاستئناف دون عطفها على الجملة السابقة؛ لأن «كلمة الله «شأنها الارتفاع والعلوّ، وهي العليا دائما بدون جعل جاعل؛ فناسب ذلك المجيء بضمير الفصل.[٤٠]

وكلمة الله العليا ← زيادة

وكلمة الله هي العليا.

---

(٣٥) انظر: الرضي، **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب**، مرجع سابق، ج١، ص١٧٠.

(٣٦) انظر: ابن هشام، عبد الله، **مغني اللبيب**، مرجع سابق، ج٢، ص٥٧٠، ٥٧١.

(٣٧) انظر: المرجع السابق، ج٢، ص٥٧١.

(٣٨) الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي) ١٩٩٢م، ص١٧٨.

(٣٩) انظر: السامرائي، فاضل، **معاني النحو**، (عمان: دار الفكر) ٢٠١١م، ج١، ص٤٨، ٤٩.

(٤٠) انظر: المرجع السابق، ج١، ص٥١

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (النجم: ٤٣) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (النجم: ٤٤) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ (النجم: ٤٨) جاء بضمير الفصل في هذه المواضع لأن بعض الناس يدّعون ذلك لأنفسهم، كما قال النمرود أنا أحيي وأميت، فكان لابد من التأكيد أن هذه الأمور لله وحده لا غيره فهو الذي يضحك ويبكي، -وقد كنّى بالضحك عن السرور والبكاء عن الحزن-، وهو الذي يحيي ويميت وهو المغني المُقني حقيقة، ومن ادّعى ذلك أحد لنفسه فلا حقيقة له، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ (النجم: ٤٩) فلأنها عُبدت من دون الله نصّ وأكّد على أنه تعالى ربها وخالقها، وقد كان بعض العرب يعظمون هذا النجم ويعتقدون تأثيره في العالم، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (النجم: ٤٥) ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى، وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾ (النجم: ٥١، ٥٢)، لم يأت بضمير الفصل للتوكيد لأنه لا حاجة له في هذه المواضع؛ لأنه لا يمكن أن يدعي ذلك أحد.[٤١] ويمكن توضيح ما طرأ على أصل التراكيب بالرسم الآتي:

وأنه أضحك وأبكى ← زيادة

وأنه هو أضحك وأبكى.

وأنه أمات وأحيا ← زيادة

وأنه هو أمات وأحيا.

وأنه أغنى وأقنى ← زيادة

وأنه هو أغنى وأقنى.

وأنه ربّ الشّعرى ← زيادة

وأنه هو ربّ الشّعرى.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾، (يوسف: ٨٩)، ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وهذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٠)

حين واجه يوسف عليه السلام إخوته بما يعرفه عنهم بعد أن أصبح عزيز مصر أدركوا هويّته، فقالوا: ﴿أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾، (يوسف: ٩٠) وقد صورت الآية الكريمة اضطرابهم النفسي وصدمتهم بين التصديق المؤكّد والاستفهام المنكر، واجتمع في الآية مع همزة الاستفهام عدد من المؤكدات، هي «إنّ» و«لام الابتداء» و«ضمير الفصل» الذي قام بدور التأكيد في هذا السياق -الذي يصور حيرتهم وترددهم بين الإنكار والتصديق -بجانب المؤكّدين الآخرين، وكان جواب يوسف عليه السلام مجموعة من الجمل الخبرية البسيطة هي ﴿أَنَا يُوسُفُ، وهذا أَخِي﴾ (يوسف: ٩٠) ثم بيان لفضل الله عليه وعلى أخيه وإبطال الله تعالى مكائدهم، مع قاعدة عامة تصلح لكل زمان ومكان ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: ٩٠)[٤٢]، ونلحظ تنوع القراءات القرآنية في الآية: ﴿أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ (يوسف: ٩٠) فقد قرأ ابن كثير بكسر الألف على الإخبار (إنّك)، وقرأ الباقون بهمزتين على الاستفهام.[٤٣] ويمكن تمثيل أصل الكلام وما طرأ عليه من تغيير، على قراءة ابن كثير، بالشكل الآتي:

إنك يوسف ← زيادة

إنك لأنت يوسف.

وأما قراءة الباقين على الاستفهام فيمكن أن نتصور الزيادة على مرحلتين، الأولى زيادة ضمير الفصل، ثم زيادة همزة الاستفهام، ويمكن تمثيلها بالشكل الآتي:

إنك لأنت يوسف ← زيادة

أءنك لأنت يوسف.

---

(٤١) انظر: الأندلسي، أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، مرجع سابق، ج٨، ص١٦٥، ١٦٦.

(٤٢) انظر: العموش، خلود، **ضمير الفصل في العربية ودوره في أداء المعنى، سورة يوسف نموذجا**، ص٢٢، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مجلد٦، العدد ٣، ٢٠١٠م.

(٤٣) انظر: أبو زرعة، عبد الرحمن، **حجة القراءات**، مرجع سابق، ١٩٩٧م، ص٣٦٣.

ثالثا: الحصر والتخصيص

ذكر الزمخشري من أغراض ضمير الفصل الاختصاص، نحو قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة:٥) فالضمير هنا له ثلاث فوائد، هي: الفصل بين الخبر والصفة، وتوكيد المعنى، وإيجاب أن المسند خاص بالمسند إليه دون غيره،(٤٤) وذكر ابن هشام أن من فوائده الاختصاص، وكثير من أهل البيان يقتصر على هذه الوظيفة.(٤٥)

فالتركيب طرأ عليه تحويل بالزيادة، وأصل الكلام:

وأولئك المفلحون ← زيادة

وأولئك هم المفلحون.

ومن دلالته على القصر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٠) فوجود ضمير الفصل أفاد القصر؛ وإذا حُذف الضمير: (وأولئك وقود النار) تحوّل الكلام إلى مجرد الإخبار، وكان القصر مُحتملا.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (السجدة: ٢٥)، وقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر: ١٠).(٤٦)

ويمكن توضيح ذلك بالرسم الآتي:

وأولئك وقود النار ← زيادة

وأولئك هم وقود النار.

إن ربك يفصل بينهم ← زيادة

إن ربك هو يفصل بينهم.

ومكر أولئك يبور ← زيادة

ومكر أولئك هو يبور.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٤) أفاد ضمير الفصل معنى التخصيص فقبول التوبة وأخذ الصدقات إنما هو لله وحده سبحانه وتعالى لا لغيره، وأخذ الصدقات معناه قبولها.(٤٧)

ألم يعلموا أن الله يقبل التوبة ← زيادة

ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة.

وضمير الفصل يُؤتى به للفصل في الأمر عند الشك، فيرفع الإبهام ويزيل اللبس؛ لأنه يدل على أن ما بعده خبر لما قبله لما أصله مبتدأ أو ما أصله المبتدأ، وليس نعتا أو بدلا أو غيرهما من التوابع التي تُكمّل المعنى، وهو بذلك يفيد معنى الحصر والتخصيص.(٤٨) ومن الأفعال التي تتلوها أسماء بمنزلة المبتدأ: (حسبت، وخِلت وظننت وأصبحتُ وأمسيت) فهذه الأسماء احتياجها إلى ما بعدها كاحتياجها إليه في حال الابتداء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾ (سبأ:٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ (آل عمران: ١٨٠) كأنه قال ولا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيرا لهم وحُذف لأنه معلوم عند المخاطب من السياق، ومثل ذلك قول العرب (من كذب كان شرا له) والمعنى كان الكذب شرا له؛ إلا أنه استغني عنه لعلم المُخاطب به، لقوله كَذَب في أول الكلام.(٤٩)

---

(٤٤) انظر الزمخشري، أبو القاسم محمود، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (بيروت: دار المعرفة)، (د.ت)، ج١، ص٢٥.

(٤٥) انظر: ابن هشام، أبو عبد الله محمد، **مغني اللبيب** مرجع سابق، ج٢، ص٥٧١.

(٤٦) انظر: السامرائي، فاضل، **معاني النحو**، مرجع سابق، ج١، ص٤٧، ٤٨.

(٤٧) انظر: الأندلسي، أبو حيان **تفسير البحر المحيط**، مرجع سابق، ج٥، ص١٠٠.

(٤٨) انظر: حسن، عباس، **النحو الوافي**، (مصر: دار المعارف)، (د.ت)، ج١، ص٢٢٠.

(٤٩) انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، **الكتاب**، ج٢، مرجع سابق، ص٣٨٩-ص٣٩١.

رابعاً: القصر على سبيل المبالغة

قد يستعمل ضمير الفصل للمبالغة في القصر، مثل قولنا: «زيدٌ هو الشاعر»، و«عمروٌ هو الجواد» فتأتي بضمير الفصل للمبالغة أن الجود أو الشعر لم يوجد إلا فيه، فأنت لا تعتدّ بما كان من غيره لقصوره أن يبلغ الكمال.(٥٠) وقوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (المائدة: ٤٤)، ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ (المائدة: ٤٥)، ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (المائدة: ٤٧) فهذا قصر على سبيل المبالغة، ولا يمكن أن يكون قصرا حقيقيا؛ لأنه على معنى أنهم أولى من يُسمّى بالكفر أو الظلم أو الفسوق، ومعلوم أن هناك كافرين وظالمين وفاسقين آخرين غيرهم.(٥١) ويمكن توضيح أصل التركيب وما طرأ عليه بالرسم الآتي:

فأولئك الكافرون ⟵ زيادة

فأولئك هم الظالمون.

خامساً: التهكم والسخرية

قد يفيد ضمير الفصل معنى السخرية والتهكم، نحو قوله تعالى على لسان قوم شعيب عليه السلام: ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾ (هود: ٨٧)، فقد أفاد ضمير الفصل معنى التهكم والسخرية، وكذلك سياق الآيات لأن قوم شعيب رفضوا الانصياع لدعوته.(٥٢) جاء في البحر المحيط: ظاهر الكلام الإخبار بهذين الوصفين فيحتمل أن يريدوا ذلك على سبيل الحقيقة على معنى إنك من المتصفين بهذين الوصفين فكيف وقعت في مخالفة دين آبائنا؟ ومثلك من يمنعه حلمه ورشده عن ذلك، ويحتمل أنهم قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية والتهكم.(٥٣) ويمكن تمثيل أصل الكلام وما طرأ عليه بالشكل الآتي:

إنك الحليم الرشيد ⟵ زيادة

إنك لأنت الحليم الرشيد.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ (الدخان: ٤٩) فالآية تكشف أن أبا جهل ليس عزيزا كريما لأنه لم يستطع دفع القتل عن نفسه في غزوة بدر، فالغرض هو التهكم والسخرية وقد دعّم هذا المعنى وأكّده ضمير الفصل، جاء في البحر المحيط لما نزلت (**إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأثيم**) (الدخان: ٤٤)، قال أبو جهل: أتهددني يا محمد وأنا أعز من مشي بين جبليها. فنزلت ﴿**ثُمَّ صُبُّوا فَوقَ رَأسه من عَذَاب الحَميم، ذُق إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ**﴾ (الدخان: ٤٨، ٤٩) على سبيل التقريع والتهكم والاستهزاء لمن كان يتعزز ويتكرم على قومه.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة ضمير الضمير وشروطه، وأبعاده الدلالية، واستعرضت خلافات النحاة حول اسميته وحرفيّته، ومحله من الإعراب، واهتمت الدراسة بتحليل التراكيب التي ورد فيها لإبراز وظيفته التركيبية، والدلالية بالاستفادة من نظرية النحو التوليدي التحويلي، والنظر إلى التراكيب التي اشتملت على ضمير الفصل باعتبارها تراكيب مُحوَّلة طرأت عليها قاعدة تحويلية هي الزيادة. وخلص البحث إلى أن ضمير الفصل وسيلة مهمة من وسائل الربط في الجملة الاسمية؛ إذ يقوم بوظيفة أمن اللبس بين الخبر والنعت، كما يؤدي وظائف تركيبية ودلالية، أبرزها: التوكيد، والاختصاص، والقصر على سبيل المبالغة، والتهكم والسخرية. ويوصي البحث بالتوسع في دراسة ضمير الفصل عبر دراسات تحليلية لسور وأجزاء من القرآن الكريم تستعرض الأغراض والأبعاد الدلالية التي يضيفها استخدام ضمير الفصل في التراكيب باختلاف القراءات القرآنية مما يُبرز جمال الآيات وتنوّع المعاني.

---

(٥٠) انظر: الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، مرجع سابق، ص١٧٩.

(٥١) انظر: السامرائي، فاضل، **معاني النحو**، مرجع سابق، ج١، ص٥٢، ٥٣.

(٥٢) انظر: بركات حسين، **ضمير الفصل مفهوم المصطلح ووظائفه التركيبية والدلالية**، ص ٢٧٣، مجلة العلوم الإنسانية، عدد٣١، ٢٠١٨م.

(٥٣) انظر: الأندلسي، أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، ج٥، ص٢٥٤.

قائمة مصادر البحث ومراجعه

- ابن مالك، شرح التسهيل، تحقيق: محمد عطا، وطارق السيد، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- ابن هشام، أبو محمد عبد الله، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية) ١٩٩١م.
- ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، (بيروت: عالم الكتب)، (د.ت).
- أبو زرعة، عبد الرحمن، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ١٩٩٧م.
- الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية) ١٩٩٨م.
- الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط تحقيق: عادل عبد الجواد، وعلي معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٢٠٠١م.
- بركات حسين، ضمير الفصل مفهوم المصطلح ووظائفه التركيبية والدلالية، مجلة العلوم الإنسانية، عدد٣١، ٢٠١٨م.
- البهنساوي، حسام، أنظمة الربط في العربية، دراسة في التراكيب السطحية بين النحاة والنظرية التوليدية التحويلية، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق)،
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي) ١٩٩٢م.
- حسن، عباس، النحو الوافي، (مصر: دار المعارف)، (د.ت).
- الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، (دمشق، دار سعد الدين)، ٢٠٠٢م.
- الخولي، محمد، معجم علم اللغة النظري، (بيروت: مكتبة لبنان)، ١٩٩١م.
- الداني، أبو عمرو، التيسير في القراءات السبع، تحقيق: أوتو يرتزل، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٢٠١٧م.
- الراجحي: عبده، النحو العربي والدرس الحديث، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية)، ١٩٨٨م.
- الرضي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق: يحيى بشير المصري، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٩٩٦م).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (بيروت: دار المعرفة)، (د.ت).
- السامرائي إبراهيم، النحو العربي في مواجهة العصر (بيروت: دار الجيل)، ١٩٩٥م.
- السامرائي، فاضل، معاني النحو، (عمان: دار الفكر)، ٢٠١١م.
- سيبويه، عمرو بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: عالم الكتب)،١٩٨٣م.
- السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، (بيروت: دار الكتاب العربي)، ٢٠٠٣م.
- السيوطي، عبد الرحمن، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، (القاهرة: عالم الكتب)، ٢٠٠١م.
- العكبري، أبو البقاء، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية) ١٩٧٩م.
- العموش، خلود، ضمير الفصل في العربية ودوره في أداء المعنى، سورة يوسف نموذجا، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مجلد٦، العدد ٣، ٢٠١٠م.
- الفهري، عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية (المغرب: دار توبقال للنشر)،٢٠٠٠م.